

## (٤٧) خطبته ﷺ يوم أحد

قام ﷺ ، فخطب الناس ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله :

« أَيُّهَا النَّاسُ.. أُوصِيكُمْ بِمَا أَوْصَانِي اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، مِنَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَالتَّنَاهِي عَنِ مَحَارِمِهِ، ثُمَّ إِنَّكُمْ الْيَوْمَ بِمَنْزِلِ أَجْرٍ وَذُخْرِ لِمَنْ ذَكَرَ الَّذِي عَلَيْهِ، ثُمَّ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، وَالْجِدِّ وَالنَّشَاطِ، فَإِنَّ جِهَادَ الْعَدُوِّ شَدِيدٌ كَرِيهٌ، قَلِيلٌ مَنْ يَصْبِرُ عَلَيْهِ، إِلَّا مَنْ عَزَمَ لَهُ عَلَى رُشْدِهِ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ مَنْ أَطَاعَهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ عَصَاهُ، فَاسْتَفْتَحُوا أَعْمَالَكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الْجِهَادِ، وَالتَّمَسُّوا بِذَلِكَ مَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ ، وَعَلَيْكُمْ بِالَّذِي أَمَرَكُم بِهِ ، فَإِنِّي حَرِيصٌ عَلَى رُشْدِكُمْ . إِنَّ الْاِخْتِلَافَ وَالتَّنَازَعَ وَالتَّثَبُّيْطَ مِنْ أَمْرِ الْعَجْزِ وَالتَّضَعُّفِ، وَهُوَ مِمَّا لَا يَحِبُّهُ اللَّهُ، وَلَا يُعْطَى عَلَيْهِ النُّصْرَ .

أَيُّهَا النَّاسُ.. إِنَّهُ قَذَفَ فِي قَلْبِي أَنْ مَنْ كَانَ عَلَى حَرَامٍ فَرَعِبَ عَنْهُ ابْتِغَاءَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، غَفَرَ لَهُ ذَنْبَهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مُحَمَّدٍ صَلَاةً: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ عَشْرًا، وَمَنْ أَحْسَنَ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُ، أَوْ فِي آجِلِ آخِرَتِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَعَلِيهِ

الْجُمُعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِلَّا صَبِيًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ مَرِيضًا أَوْ عَبْدًا مَمْلُوكًا .  
وَمَنْ اسْتَعْنَىٰ عَنْهَا اسْتَعْنَىٰ اللَّهُ عَنْهُ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ .

مَا أَعْلَمُ مِنْ عَمَلٍ يَقْرِبُكُمْ إِلَى اللَّهِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْ  
عَمَلٍ يَقْرِبُكُمْ إِلَى النَّارِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَفَثَ الرُّوحُ  
الْأَمِينُ<sup>(١)</sup> فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَوْفِيَ أَقْصَىٰ رِزْقِهَا  
لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَأَجْمِلُوا فِي  
طَلَبِ الرِّزْقِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاؤُهُ عَلَىٰ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ رَبِّكُمْ،  
فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، قَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ،  
غَيْرَ أَنْ بَيْنَهَا شُبُهًا مِنَ الْأَمْرِ لَمْ يَعْلَمَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ عَصِمَ،  
فَمَنْ تَرَكَهَا حَفِظَ عِرْضَهُ وَدِينَهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِيهَا كَانَ كَالرَّاعِي إِلَى  
جَنْبِ الْحِمَىٰ أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَلَيْسَ مَلِكٌ إِلَّا وَلَهُ حِمَىٰ، أَلَا وَإِنَّ  
حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، إِذَا  
اشْتَكَى تَدَاعَىٰ إِلَيْهِ سَائِرُ جَسَدِهِ.. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ» .

(جمهرة خطب العرب - الجزء الأول)

في هذه الخطبة التي خطبها الرسول ﷺ في يوم أحد، وهو اليوم  
الذي امتحن المسلمون فيه امتحاناً عسيراً كان من أهم نتائجه أن مخالفة

(١) وهو جبريل عليه السلام .

أمر الرسول ﷺ كادت أن تقضى على الدعوة ورسولها لولا لطف الله ونصره الذي كان إنقاذاً للدعوة ورسولها، بل ورجالها .

فى هذه الخطبة - وبعد حمد الله تعالى والثناء عليه - يوصى الرسول ﷺ أصحابه بما أوصى به الله تعالى فى كتابه ، وهو طاعته سبحانه وتعالى والتناهى عن محارمه ؛ لأن تنفيذ هذا هو الانتماء الحقيقى لعبادة الله تبارك وتعالى :

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَىٰ ﴿١﴾﴾ .

ثم إذا كان النبى ﷺ بعد ذلك قد قال لهم :

« ثُمَّ إِنَّكُمْ الْيَوْمَ بِمَنْزِلِ أَجْرٍ وَذُخْرٍ لِمَنْ ذَكَرَ الَّذِي عَلَيْهِ . ثُمَّ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ » .

فإن النبى ﷺ يريد من وراء هذا التذكير أن يحاسب كل واحد منهم نفسه ، أو أن يسأل كل نفسه إذا كان صادقاً فى مواجهته للعدو أم لا . ؟ . فإن كان صادقاً فإنه لابد وأن يوطن نفسه على الصبر واليقين لأنه فى موطن أجر وذخر لمن ذكر الذى عليه من الحقوق والواجبات لله تعالى ودينه الحنيف . وإذا كان العكس هو الصحيح فإنه لابد وأن

(١) سورة الأعلى : ٢ - ٥ .

يكون صريحاً مع نفسه حتى لا يكون من أهل الخسران المبين . .  
وذلك بتجديد النية والحرص على إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله  
سبحانه وتعالى .

ثم إذا كان النبي ﷺ قد أوصى كذلك بضرورة أن يلتمس بذلك  
ما وعده الله، وأن يكون على صلة بالله تعالى بتنفيذ أوامره : فيانه  
بذلك قد وضع النقط على الحروف ، لأن النية الصادقة هي الأساس في  
قبول الأعمال ، ولأن طاعة الله تعالى هي الأساس في نجاح تلك  
الأعمال .

وإذا كان الرسول ﷺ كذلك قد قال :

« إِنَّهُ قَذَفَ فِي قَلْبِي أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَيَّ حَرَامٍ فَرُغِبَ عَنْهُ ابْتِغَاءً  
مَا عِنْدَ اللَّهِ غَفَرَ لَهُ ذَنْبَهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مُحَمَّدٌ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ عَشْرًا... » إلخ : في المراد هو أن تُرَغِبَ عن الحرام  
ابتغاء ما عند الله حتى يغفر الله لنا ذنوبنا، وأن نكثر من الصلاة والسلام  
على رسول الله ﷺ حتى يصلى الله تعالى علينا مع ملائكته . . وهذه  
نعمة كبرى لا بد وأن نغتنمها ونستفيد بها . . ولا سيما إذا كنا سننقذ -  
بالإضافة إلى هذا - كل ما أوصى به الرسول ﷺ في هذه الخطبة  
والذي من أهمه قول الرسول ﷺ :

« فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَأَجْمِلُوا فِي طَلِبِ الرِّزْقِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ  
استبطاؤُهُ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّهُ لَا يُفَدِّرُ عَلَى مَا عِنْدَهُ  
إِلَّا بِطَاعَتِهِ ... » إلى آخر الخطبة التي قال فيها :

« وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى تَدَاعَى إِلَيْهِ  
سَائِرُ جَسَدِهِ ... » .

فلنكن - إن شاء الله تعالى - من المتفعين بهذه الخطبة كما انتفع بها  
الأصحاب الفضلاء فكانت درساً لهم طوال حياتهم .

ولنكن كذلك من الحريصين على طاعة الله . . حتى نكون أهلاً  
لرحمته ، وليكن - كل هذا - على أساس من الحب والإخاء والترابط  
والوفاء ؛ حتى يكون النصر حليفنا ، والإيمان شعارنا .

\*\*\*